

ترجمة القرآن الكريم؛ مفهومها، تاريخها وحكمها

د. بابكر رحمة الله محمد أحمد (★)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد. لما كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن صحابته الكرام، ومن سلف الأمة وخلفها إلى يومنا هذا، وستبقى هذه العناية إن شاء الله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

اهتم العلماء بالقرآن الكريم، وقد اتخذت العناية به أشكالاً كثيرة، وغاياتٍ متعددة، حتى صارت المصنّفات في كل قسم من أقسام القرآن الكريم، وأصبحت بين أيدينا مصنّفات متعدّدة في علوم كثيرة تتعلق بالقرآن وعلومه، مثل إعجاز القرآن، وأقسام القرآن، وأمثال القرآن، وعلم التفسير، وعلم النسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن، وغير ذلك من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، فالله الحمد والمِنَّة.

(★) رئيس قسم الثقافة الإسلامية، جامعة المغتربين، الخرطوم، السودان.

(١) سورة الحجر، الآية (٩).

وعلى طريق العلم و العلماء السابقين والأئمة الأعلام، كتبتُ ورقة علمية بعنوان (ترجمة القرآن الكريم؛ مفهومها، تاريخها وحكمها) وذلك للأهداف الآتية:

[١] بيان حقيقة ترجمة القرآن الكريم وتوضيح أقسامها وحكمها وتاريخها.

[٢] تفنيد الشبهات حول ترجمة القرآن الكريم، وإزالة اللبس في معانيها.

[٣] بيان معجزة القرآن الكريم في بيانه وكلماته الخالدة والصالحة لكل زمان.

إضافة إلى ذلك؛ حاجة عصرنا الحالي الذي تداخلت فيه المعلومات، وأصبحت الترجمة المعنوية للقرآن الكريم ضرورية لنشر الإسلام إلى الناس كافة. ولهذا اخترت للورقة العلمية هذا العنوان، علّها تكون إضافة للمكتبات والمجلات الإسلامية.

مشكلة البحث:

لما كانت لترجمة القرآن الكريم من أهمية في توضيح معانيه، وبيانها إلى اللغات الأخرى، كان لا بُدَّ من أن يجتهد علماء المسلمين لتوضيح ترجمة القرآن الكريم، وأحكامها، وأنواعها، وبعونٍ من الله وتوفيقه وضعتُ أسئلة للبحث على النحو التالي:

[١] ما الطريقة الصحيحة لترجمة القرآن الكريم، وتوضيح معناها؟

[٢] متى بدأت ترجمة القرآن الكريم؟

[٣] ما أقسام وأنواع ترجمة القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لقد بحثتُ في المكتبات، ووجدتُ الكثير من الدراسات التي تناولت موضوع ترجمة القرآن الكريم بعدة طرق، فهناك بحوث وكتب ألفت، وجهود بُذلت، ولكن لم أجد كتاباً بطريقة مفصلة موضحة لمفهوم ترجمة القرآن الكريم، وتاريخها، وحكمها في كتاب أو بحث على حدة، ولهذا كتبتُ هذه الورقة، وهي مقسمة لفصول، ومباحث، وخاتمة، وتوصيات. أسأل الله أن تجد القبول، وأن تكون إضافةً للمكتبات والمجلات الإسلامية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وفصلين، ونتائج، وتوصيات.

أولاً: المقدمة.

ثانياً: الفصل الأول: تعريف القرآن الكريم والترجمة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القرآن لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الترجمة لغةً واصطلاحاً.

ثالثاً: الفصل الثاني: تاريخ الترجمة، وأقسامها، وحكمها. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تاريخ ترجمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أقسام الترجمة. وفيه ومطلبان:

المطلب الأول: الترجمة الحرفية وحكمها.

المطلب الثاني: الترجمة التفسيرية والمعنوية وحكمها.

رابعاً: أهم النتائج التي توصلت إليها، وملحق بالبحث الفهارس العامة.

الفصل الأول

تعريف القرآن الكريم والترجمة

المبحث الأول: القرآن لغةً واصطلاحاً:

القرآن في اللغة:

اختلف العلماء في اشتقاقه على قولين، فمنهم من قال بأنه مهموز: قرأ يقرؤه و يقرؤه قرءاً وقراءة وقرآنًا، وقالوا: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه (صلى الله عليه وسلم) كتاباً وقرآنًا وفرقاناً، ومعنى القرآن الجمع، وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١)، أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لِقُرْآنِهِ﴾^(٢)، أي قراءته، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "فإذا بينا لك في القراءة؛ فاعمل بما بيناه لك".

(١) سورة القيامة، الآية (١٧).

(٢) سورة القيامة، الآية (١٨).

ومما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا، ما حدثني به محمد بن سعد، قال: "حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) فإذا قرأناه (عليك) فاتبع قرآنه يقول: إذا تلي عليك فاتبع ما فيه.

قال أبو جعفر: "فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن معنى "القرآن" عنده؛ القراءة، وإنه مصدر من قول القائل: قرأت، على ما بيناه^(١).

ومنهم من قال بأنه غير مهموز، فقد روي عن الشافعي أنه كان يقول: "القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنّه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن"^(٢).

ومما سبق نعرف أنّ العلماء اختلفوا في القرآن من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدرراً أو وصفاً؛ على أقوال نجملها فيما يلي:

أمّا القائلون بأنه مهموز؛ فقد اختلفوا على رأيين:

الرأي الأول: القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا كالرجحان والغفران، ثم نُقل من هذا المعنى المصدرى وجُعِلَ اسماً للكلام المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) من باب تسمية المفعول بالمصدر. ويشهد لهذا الرأي ورود القرآن مصدرراً بمعنى

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ج١، (١/٩٦-٨٩).

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/١، ١٢٩/١.

القراءة في الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾^(١)، أي قراءته.

الرأي الثاني: إنه على وصف فعلان؛ مشتق من القرء بمعنى الجمع، يُقال في اللُّغة: قرأتُ الماءَ في الحوض؛ أي جمعتُهُ، ثم سمي به الكلام المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) لجمع السور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنواهي، أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة.

وهو على هذين الرأيين مهموزٌ، فإذا تركت الهمزة فذلك للتخفيف.

أما القائلون بأنه غير مهموز، اختلفوا في أصل اشتقاقه؛ فقال قومٌ هو مشتقٌ من قرئتُ الشيءَ بالشيءِ، إذا ضممتُ أحدهما إلى الآخر، وسُمِّيَ به القرآن، لقران السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفراء^(٢): "هو مشتقٌ من القرائن، لأنَّ الآيات يصدق منه بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن أي أشباه ونظائر، وعلى هذين القولين، فنونه أصلية بخلافه على القولين الأولين فنونه زائدة".

رأي خامس مقابل للأقوال السابقة وهو أنه اسم علم غير منقول، وُضِعَ من أول الأمر علماً على الكلام المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو غير مهموز، وهذا القول مروى عن الإمام الشافعي^(١).

(١) سورة القيامة، الآيتان (١٧، ١٨).

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بال النحو واللُّغة وفنون الأدب، الأعلام، ١٤٥/٨، اللباب، ٤١٤/٢.

أما القرآن الكريم في الاصطلاح، فالمراد منه (كلام الله، المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) المعجز بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف من أول سورة الحمد إلى آخر سورة الناس)^(٢).

ثانياً: خصائص القرآن الكريم:

خصائص القرآن الكريم كثيرة، منها:

[١] أنه محفوظ من التحريف والضياع، والزيادة والنقصان، وذلك لأن الله تعالى تولى حفظه بنفسه، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٣)، فهيأ له أسباباً للحفظ، منها:

{أ} الأمة المعتادة على الحفظ، فقد كان الحفظ معروفاً في العرب، فهم يحفظون القصائد الطوال حين يسمعونها لأول مرة، ويحفظون الخطب الطويلة كذلك.

{ب} هيأ علماء حفاظاً مجتهدين في حفظه، ويعلمونه أولادهم وتلاميذهم، ويتدارسونه، ويكتبونه وينقله الآخر عن الأول بالأسانيد المتصلة، ولذلك تجد أئمة القراء كثر، من عهد الصحابة (رضي الله عنهم) ومن بعدهم إلى عصرنا هذا.

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب المدخل لدراسة القرآن، للدكتور محمد أبو شهبة، ص: ١٩٠، وكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني، تحقيق الدكتور: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ١/١٨٠. وانظر: مدخل إلى علم القرآن، ص: ١٩.

(٣) سورة الحجر، الآية (٩).

{ج} جعله سهلاً ميسراً للحفظ. وأنت ترى حفاظ القرآن الكريم في العالم بالآلاف بل أكثر، في حين أنك لا ترى أحداً من المنتمين للأديان الأخرى يحفظ الكتاب المقدس عندهم. ولم يتولَّ الله تعالى حفظ الكتب السابقة، بل وكلها لأصحابها، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّبِّينِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾^(١).

من الحكم في حفظ القرآن الكريم:

{أ} أنه آخر كتاب يحمل آخر رسالة تبقى إلى قيام الساعة.

{ب} أنه المعجزة الكبرى للرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهو معجزة باقية للأجيال، قال (صلى الله عليه وسلم): (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة)^(٢).

[٢] أنه خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَاكَ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ﴾^(٣)، والمعنى أنه شامل لما فيها، وزائد عليها، وشاهد وحاكم عليها، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو إما منسوخ أو باطل باعتباره محرّفاً، وهو حافظ لما فيها من أصول الشرائع، وعالٍ عليها وغالب، وناسخ لغير المحكم فيها، فهو أكمل الكتب السماوية وخاتمها.

(١) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٨).

[٣] إعجازه والتحدّي به، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(١).

[٤] أنّ بكل حرفٍ منه حسنة: عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "ألم" حرف، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ)^(٢).

[٥] تيسيره وسهولته، فحفظه سهل، وقراءته سهلة يسيرة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾^(٣).

[٦] جماله وبلاغته وعظمة أسلوبه، فهو يورد المعاني الكبيرة بعبارات موجزة.

[٧] عدم الملل من تكرار تلاوته وترديده.

ويستحيل ترجمته بهذه الخصائص والصفات، لأنّ القرآن كلام الله وكل لفظة في القرآن الكريم تعبّر عن الإعجاز، وعظمة القرآن الكريم في روعة الألفاظ والتناسب والتناسق والترتيب.

وهو مُتعبّد بتلاوته، وهذا التعبّد إنّما ورد في خصوص القرآن وألفاظه دون أي ألفاظ أو أساليب أخرى ولو كانت عربية مرادفة لألفاظ الأصل وأساليبه.

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٩١٠)، وقال حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٣) سورة القمر، الآية (١٧).

وهو معجزٌ بلفظه ومعناه، ولما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) تحدّى الله به العرب (وكانوا أفصح الفصحاء ومصارع الخطباء) على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين، فلم يقدرُوا كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(١)، ثم تحدّاهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَبَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، ثم كرر ذلك في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)، فلمّا عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء؛ نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٤)، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، ويكفيها شهادة العرب الفصحاء قديماً بإعجازه؛ فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّ الوليد بن المغيرة^(٥) جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأثاه فقال له: يا عم، إنّ قومك يريدون أن

(١) سورة الطور، الآية (٣٤).

(٢) سورة هود، الآية (١٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

(٥) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. الأعلام، ١٢٢/٨. الكامل، ٢٦/٢.

يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ من قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل ألمّ بالشعر مني؛ لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلوا وما يُعلَى، وإنه ليعظم ما تحته، قال: والله ما يرضي قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحرٌ يُؤثر، يآثره عن غيره، فنزلت: (ذري ومن خلقت وحيداً)^(١).

المبحث الثاني

الترجمة لغةً واصطلاحاً

أولاً: الترجمة لغةً:

ترجم الكلام، بيّنه ووضّحه، وكلام غيره نقله من لغةٍ إلى أخرى^(٢)، ولفلان ذكر ترجمته، والتُرْجُمان: المترجم، والجمع تراجم وتراجمة، وفي حديث هرقل: قال لثُرْجُمانه، التُّرْجُمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغةٍ إلى أخرى، والجمع التراجم^(٣).

(١) أخرجه الحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، ٥٠٦/٢.

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، ط/١، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٣) لسان العرب، ٦٦/١٢.

ومن خلال كتب اللُّغة نعرف أنّ الترجمة في اللُّغة العربية تدل على أربعة معانٍ:

الأول: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول أبي حمزة^(١): "كنت أترجم بين يدي ابن عباس (رضي الله عنهما)".

الثاني: تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه قيل في ابن عباس (رضي الله عنهما): "ترجمان القرآن".

الثالث: تفسير الكلام بلغة غير لغته، قال في تاج العروس^٢: "وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر".

الرابع: نقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى، قال في لسان العرب^(٣): "الترجمان (بالضم والفتح) هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغةٍ إلى أخرى، والجمع تراجم"^(٤).

(١) هو: نصر بن عمران الضبيعي (ت: ١٢٨هـ)، يُنظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، (٣١٩/٢)، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، ط/١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٢٥/٣١)، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق جماعة من المحققين، دار الهداية.

(٣) لسان العرب، مرجع سابق، ط/١.

(٤) وكأَنَّ هذا المعنى قريب من سابقه؛ إلاَّ أنَّه قد يفرق بينهما بما سيأتي في الفرق بين أنواع الترجمة، والله أعلم.

ولكون هذه المعاني الأربعة فيها بيان، جاز على سبيل التوسُّع إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان مما عدا هذه الأربعة، فقليل ترجم لهذا الباب بكذا أي عنون له، وترجم لفلان أي بيَّن تاريخه، وترجم حياته أي بيَّن ما كان فيها، وترجمة هذا الباب كذا أي بيان المقصود منه،... إلخ.

والترجمة وإن كانت لغةً تشتمل على معانٍ أربعة، إلاَّ أنَّها انحصرت عُرفاً في النوع الرابع، وهو نقل الكلام من لغةٍ إلى لغةٍ ثانية، واقتناع الناس بأنَّ هذا المنقول هو الكلام الأصلي تماماً بلا زيادة ولا نقصان^(١).

ثانياً: الترجمة اصطلاحاً:

هي التعبير عن معنى كلام في لغة، بكلام آخر من لغةٍ أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده^(٢). ولا يمكن أن تتحقق الترجمة إلاَّ بمعرفة المترجم لأوضاع اللُّغتين وأساليبهما، وخصائصهما كما سيأتي.

وعرّفه بعضهم بأنَّه نقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية إلى الجمل والمعاني الكلية^(٣).

ثالثاً: أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم:

(١) ترجمة القرآن، لعبد الوكيل الدروي، ص: ١٩.

(٢) مناهل العرفان، ١١١/٢.

(٣) ترجمة القرآن، عبد الوكيل الدروي، مرجع سابق، ص: ١٩.

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للناس كافة، وتخطب جميع الخلق دون استثناء؛ لأنها الدعوة الخاتمة لجميع الدعوات، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^(٢).

يقول الحافظ ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره للآية الكريمة: "يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم): (قل) يا محمد، (يا أيها الناس)، وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي (إني رسول الله إليكم جميعاً) أي جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته (صلى الله عليه وسلم)، أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة"^(٣).

وقد قام (صلى الله عليه وسلم) بتبليغ رسالة ربه تبارك وتعالى إلى الناس كافة، وجاهد في ذلك أيما جهاد، يقول الدكتور أحمد غلوش: "باشر (صلى الله عليه وسلم) عملياً تنفيذ عالمية الدعوة بعد الحديبية، حيث أرسل إلى الملوك والأمراء في كل أرض يدعوهم إلى الإسلام ويحملهم إثم أتباعهم إن لم يبلغوهم"^(٤).

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير، ٢/٢٥٤.

(٤) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش، ص: ٢٢٢ "بتصرف".

وهذا من تمام جهاده (صلى الله عليه وسلم) في دعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى، ومن كمال أمانته في تحمُّل أعباء أمانة الدعوة، ومن لطف رحمته بالناس الذين أرسل إليهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

والمتمم في الآيات الكريمة الحاتمة على عالمية الدعوة وتبليغها للناس كافة، يجد أنها "تعم المعاصرين لنزول القرآن، ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة، بل إنها تشمل الجن مع الإنس باتفاق العلماء"^(٢).

كما أنه مما يؤكِّد عموم الخطاب الدعوي لجميع الناس، أن في القرآن من "دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين، وعُباد الأوثان، وجميع الإنس والجن، ما لا يُحصى إلا بكلفة، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام"^(٣).

ولا ريب أن كتاب الله تعالى قد نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣١﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٢﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٣٣﴾ ﴾^(٤).

كما أنه من المعلوم أن هنالك أقوام عديدة، وشعوب كثيرة تتوجه لهم الدعوة

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٢) الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٢١٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، للإمام ابن تيمية، ١/١١٢.

(٤) سورة الشعراء، الآيات من (١٩٢-١٩٥).

الإسلامية، ولكنهم لا يعرفون اللغة العربية، ولا يستطيعون قراءة كتاب الله تعالى ومعرفة ما فيه من الخير والهدى والرشد، فاتضحت من هنا الحاجة الماسة إلى ترجمة تفسير معاني القرآن الكريم وتقريبها للناس، وتوصيلها لهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وقد أخبر الله تعالى في القرآن بما قالته الرسل لقومهم، وما قالوا لهم، وأكثرهم لم يكونوا عرباً، وأنزله الله باللسان العربي، وحينئذ فإن شرط التكليف تمكّن العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم، وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يُعْرَفُ به مراده، بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه، وهذا مقدورٌ للعباد"^(١). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في موضعٍ آخر أيضاً: "وأما جمل ما أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الصلاة والزكاة والصوم والحج وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وما حرّمه الله من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك، فهذا مما يمكن أن يعرفه كل أحد بتعريف من يعرفه، إمّا باللسان العربي، وإمّا بلسانٍ آخر، لا يتوقّف تعريف ذلك على لسان العرب"^(٢).

والمتممّل في العصر الحاضر خاصةً، يجد الأهمية القصوى لترجمة تفسير معاني كتاب الله تعالى ونشرها بين الناس، وتيسيرها لهم بالوسائل المتعددة، وعلى مختلف اللغات وبأيسر الأثمان، حتى يعلم غير المسلم الدين الحق، والعقيدة الصحيحة، ومعنى التوحيد الخالص، وفضل الشريعة الإسلامية على غيرها من الشرائع.

والحقيقة أنّ فائدة ترجمة معاني القرآن الكريم لا تقتصر على دعوة غير

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، مرجع سابق، ١/١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ١/١٩٥.

المسلمين إلى الإسلام، بل تبتدئ فائدتها للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية، وخاصة الذين يعيشون في مناطق نائية وديار بعيدة، ومن هنا تبرز لنا أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم وبخاصة في هذا العصر، حيث يشكّل المسلمون أكثر من ربع سكان العالم، ولا تتجاوز نسبة العرب بين المسلمين خمسة عشر في المائة، فإذا أهملنا ترجمة معاني القرآن الكريم خاصة، وترجمة متطلبات دعوة الإسلام عامة، فسوف يكون كثير من الناس في شتى بقاع الأرض فريسة دعاة الباطل من اليهود والنصارى والملاحدة وأصحاب المذاهب المعاصرة، الضالة المضلة، وما أكثرها.

وهذا هو الواقع المر اليوم، حيث استغلّ الأعداء المسلمين بصفة خاصة، والناس الموجهة لهم الدعوة بصفة عامة في أنحاء متفرقة من العالم، وذلك لجهلهم بدينهم وبعدهم عن ربهم، فخاطبهم بلغاتهم التي يعرفونها، وكاتبهم عبر جميع الوسائل الإعلامية والثقافية، فأضلّوهم عن الصراط المستقيم، فتجد بعض المسلمين ليس لهم من الانتماء إلى الإسلام إلا مجرد الاسم، أو مجرد كتابة الديانة على بطاقته الشخصية، وما سوى ذلك فجهل وضياع^(١).

ويؤكد عبد الله بن عباس الندوي هذا الأمر، ويرى ضرورة الاستعانة بالترجمات لمعاني القرآن الكريم "وذلك ليعلم المسلم الذي لم يمكنه جهله بالعربية من فهم معنى القرآن الكريم فهماً مباشراً لما في الكتاب الكريم من الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، ومعنى التوحيد، والإشراك بالله، وقصص الأمم التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله وبال أمرها، وما كتبه الله للمحسنين من الثواب ونعيم الجنة، وما أنذر به المجرمين والكفار من العذاب ونار الجحيم، وكيف عارض القرآن الكريم الكفار

(١) دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله، لعبد بوريماء، ص: ٩٩-٩٨ "بتصرف".

والمشركين واليهود والنصارى المعارضة الحكيمة. فلو أغلقنا دون هذا المسلم باب الاستفادة من القرآن الكريم بوساطة الترجمات لمعانيه، لتركناه في جهلٍ وظلام^(١).

والحقيقة أنّ مما يبرز أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم أيضاً في العصر الحاضر "أنّ الأمم المعاصرة لا يقنعها أن تأخذ الشيء بالواسطة، ويفهم سواها له، وإنّما تريده من مصدره الأول، وتدّعي أنّها تفهم منه أكثر مما يفهم أهله الأخصّون، فترجمة معاني القرآن الكريم والحالة هذه أصبحت في هذا العصر أمراً لا مناص منه، قياماً بالعهد الذي في أعناقنا له، وإلّا استحققنا ما يوعد الله به المقصرين في تبليغه"^(٢).

(١) ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، لعبدالله الندوي، ص: ٢٢.

(٢) الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، لمحمد فريد وجدي، ص:

الفصل الثاني

تاريخ الترجمة واقسامها وحكمها

المبحث الأول: تاريخ ترجمة القرآن الكريم^(١):

لعلّ من المناسب أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ ترجمة القرآن الكريم، بل الترجمة في الإسلام، متى وُجِدَتْ الفكرة، ومتى اتسع العمل والمطالبة بها، وما الدافع لذلك، مما يعين على فهم موضوع ترجمة القرآن، ومن ثمّ الوصول إلى الحكم الصائب فيها (إن شاء الله تعالى).

الترجمة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم):

نزل الوحي على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴿يَلْسَانِي عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٢)، وجاءه التكليف بالدعوة لدين الله لسائر أمم الأرض: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ﴾^(٣)، فقام بالدعوة لدين الله، وأرسل الرسل والكتب للملوك

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم أم تفسير العلماء له، للدكتور محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، ص: ١٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٩٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

والقادة، وأكثرهم غير عرب، ولم يترجم شيئاً من كتبه، ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء الرسل يجيد لغة المرسل إليه^(١).

قد تأتي بعض الرسائل للرسول (صلى الله عليه وسلم) بغير العربية، وكان يأمر بعض أصحابه الذين يعرفون "لغة الكتاب" بترجمتها للعربية، كما أمر بعض أصحابه بتعلم لغة معينة، فقد أمر زيد بن ثابت بتعلم "السريانية"^(٢). وقد أورد السرخسي خبراً تناقله عنه الكاتبون في موضوع ترجمة القرآن، وهو أن أهل فارس كتبوا لسلمان الفارسي (رضي الله عنه) أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكتبها لهم، فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم، وبعدما كتب، عرض على النبي (صلى الله عليه وسلم) ما كتب، ثم بعثه، ولم ينكر عليه النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣). وهذا الخبر لا يستحق الوقوف عنده إذ ملامح الضعف واضحة عليه^(٤).

(١) كتاب حدث الأحداث في الإسلام؛ الإقدام على ترجمة القرآن، لمحمد سليمان، كتب نادرة، ط/٢، ص: ١١١-١١٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت، ١٨٦/٥، وأورده صاحب كنز العمال، وعزاه لعبد بن حميد، ٢٣٢/١٠، رقم (٢٩٢٢٥).

(٣) السرخسي، المبسوط، ٣٧/١، النووي، المجموع شرح المذهب، ٣٨٠/٣.

(٤) قال النووي: والجواب عن فعل سلمان أنه كتب تفسيرها لا حقيقة الفاتحة، المجموع، ٣٨٠/٣.

وردّه الزرقاني من وجوه:

{أ} خبر مجهول الأصل لا يُعرف له سند.

{ب} لو كان له سند لثقل وتواتر، لأنه مما تتوافر الدواعي على نقله.

{ج} وقع الاختلاف في لفظ الخبر، في بعضها تُرجم "الفاتحة" وفي بعضها "بسم الله الرحمن الرحيم" وفي

الترجمة في عهد الخلافة الراشدة وصدور الإسلام:

انتشر الفتح الإسلامي حتى شمل الشام ومصر والعراق وفارس والروم، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ولم يثبت أنه تُرجم القرآن ولا غير القرآن، كانوا يقرؤون القرآن بالعربية، وقد انتشرت لغة القرآن مع انتشار الإسلام، فكان الإسلام والقرآن واللغة العربية متلازمات، وكان هذا العصر من أشد العصور حاجة للترجمة إذا كان انتشار الإسلام وقراءة القرآن مربوطان بها، بل على العكس، فقد نشطت ترجمة علوم الفرس والروم إلى اللغة العربية ولا سيما في عهد الدولة العباسية.

إنَّ ما تم من ترجمة أو حديث عنها بالتأييد أو الرفض في تلك العهود (مع أهميته لكثرة الداخلين في الإسلام من غير العرب) لم يكن واسعاً شاملاً، إنَّما كانت فتاوى عن حالات فردية، وعن سور وآيات، مثل الكلام عن حكم ترجمة الفاتحة، وقراءتها بغير العربية، وكل ذلك يُعدُّ قليلاً إذا قورن بما حصل من ترجمة، ودعوة لها في عصرنا الحاضر، مع أنَّ الحاجة في العصر الإسلامي الأول كانت أشدَّ كما يتبادر للذهن.

والآن نستعرض بعض أعمال الترجمة في العصر الإسلامي الأول، فمن ذلك: ما ذكره أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت ٣٤٨هـ) من أنَّ أهل بخارى كانوا يقرؤون القرآن بالفارسية في صلاتهم في المسجد الذي أقامه قتيبة في بخارى عام

بعضها "شيئاً من القرآن". مناهل العرفان، ٥٥، ٥٦/٢. ويقول حسين سامي: روي بصيغة التمریض، وغير مسند إلى رواة معروفين، والفرس لم يدخلوا في الإسلام إلا في أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). مجلة الهداية الإسلامية، عدد شعبان، ١٣٥١هـ، ص: ١٤٢. يقول د. رمضان عبد التواب: "لو كان صحيحاً لما اختلف الأئمة في جواز الصلاة بالترجمة، مجلة الرسالة الإسلامية، عدد ١٠/٩، ١٠، محرم ١٣٨٩هـ.

(٥٩٤هـ)، لأنهم كانوا لا يعرفون العربية في صدر الإسلام. وكان الواعظ مرسي بن سيار يفسر القرآن الكريم باللغتين العربية والفارسية سنة (٢٥٥هـ)^(١).

ونُقِلَ عن أبي حنيفة أنه أجاز القراءة بالفارسية، سواء أكان صاحبها يُحسن العربية أم لا، وذهب صاحبه أبو يوسف ومحمد إلى عدم الجواز إلا لمن لا يحسنها، ورُوي أن أبا حنيفة رجع لقول صاحبيه.

ويرى المالكية والشافعية والحنابلة أنه لا يجوز القراءة بغير العربية، سواء أحسن قراءتها بالعربية أم لم يحسن^(٢).

الترجمة بعد عصر صدر الإسلام:

هذه صورة من حال الترجمة في عصر صدر الإسلام، فمتى بدأ موضوع الترجمة؟ ومتى تُرجم القرآن وتُرجمت معانيه؟ وكثر الحديث عن حكم الترجمة بين المنع والإجازة، وهناك ثلاث جهات في هذا الجانب، هي:

الجهة الأولى: المستشرقون والمنصرون (المبشرون):

لقد سبق المستشرقون في هذا الجانب وقاموا بجهود كبيرة في ترجمة القرآن (حسب دعواهم) أو ترجمة معانيه، وأغراض المستشرقين وأهدافهم في الجملة واضحة، إذ تنجّه جهودهم للطعن في الإسلام وتغيير الناس منه، وكان أول من قام بترجمة القرآن الكريم؛ مجموعة من الرهبان وعلماء اللاهوت، وكان "بطرس الميجل"

(١) عبد الله عبد المجيد السنوي، مقال عن القرآن الكريم وترجمته، مجلة الرسالة، عدد ٨٤، ٨٥، ١٣٩٥هـ.

(٢) الموسوعة الفقهية، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامي، ج ١١، ص: ١٦٩.

(١٠٩٤-١١٥٦م) أول من رعى ترجمة للقرآن إلى اللاتينية (١١٤٣م)، وكان هدفه الحصول على معرفة علمية حقيقية عن الدين الإسلامي، لمحاربة الإسلام، وتسليح الكنيسة ضد خطر الإسلام، فهو يقول: "وهذا العمل الذي أقوم به لا يمكن أن يُقال إنه عديم الفائدة، فإذا تعذّر هداية المسلمين الضالين به، فلا يفوت تحذير أولئك الضعفاء من أبناء الكنيسة"^(١).

ثم توالى ظهور الترجمات المختلفة للقرآن الكريم باللغات المختلفة، فترجم القرآن إلى اللغة الفرنسية عام (١٦٤٨م)، وإلى الألمانية عام (١٦١٦م)، وإلى الإيطالية عام (١٥١٣م)، وقبل ذلك إلى الإنجليزية^(٢). وتوسّع في الترجمة بعد أن بدأ اهتمام الغرب بالعالم الإسلامي، وشعوره بالحاجة إلى التعرّف عليه وعلى ثقافته وعقائده لأهداف كثيرة.

الجهة الثانية: الكماليون في تركيا:

عندما أسقط الكماليون الخلافة الإسلامية، وألغوا اللغة العربية، وأجبروا الناس على قراءة القرآن باللغة التركية، قام مجلس النواب آنذاك بتكليف "رئاسة الشؤون الدينية" بترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغة التركية^(٣). وقام بعض ملاحدة الترك ببث العصبية للجنسية التركية في قومهم، وهي وإن كانت موجودة أصلاً، لكن هؤلاء

(١) دراسات في الاستشراق ومناهجه، د. حسن عزوزي، ص: ٤٣.

(٢) عبد الله عبد المجيد السنوي، مقال في مجلة الرسالة، عدد (٨٤، ٨٥)، ص: ٦٢، علي الصادق حسنين، بحث ضمن بحوث الندوة العالمية حول ترجمات القرآن، ص: ١٦٥.

(٣) ترجمة القرآن وأثرها في معانيه، د. نجدة رمضان، ص: ١٣٢.

اهتموا بالمسألة وأرادوا الاستغناء عن القرآن المنزل من الله باللسان العربي، وترجمته إلى اللسان التركي. وكان هدفهم إزالة كل ما هو عربي من نفس الشعب التركي ليسهل سَلُّه من الإسلام، فهم حين ترجموا القرآن إلى اللُّغة التركية، لا ليفهمه الترك؛ فإنَّ تفاسيرهم بلغتهم كثيرة، ولكن لمحو كل ما هو عربي^(١). وعلى إثر ذلك قام الهنود بترجمة القرآن إلى اللُّغة الإنجليزية، كما ترجموه إلى اللُّغة الفارسية^(٢).

الجهة الثالثة:

صدى لما حصل من ترجمة القرآن على أيدي المستشرقين، وما اكتشف في هذه الترجمات من تحريف وتضليل، وما قام به الكماليون الأتراك، أثار عاصفة قوية في أوساط العالم الإسلامي، وقامت معركة حامية حول الترجمة بين مؤيِّد ومعارض ومتحفِّظ، ونزل كل فريق بحجته، وأخذ كل طرف يرد على الطرف الآخر في الكتب والرسائل والصحف والمجلات، ولا سيما في مصر، وكان ذلك في النصف الأول من القرن الهجري الماضي (١٣٥٠هـ).

من المدافعين عن حرمة القرآن المعارضين للترجمة؛ محمد رشيد رضا، كتب في ذلك مقالات ضمنها تفسير المنار^(٣)، ومنهم الشيخ محمد شاکر "وكيل الجامع الأزهر"، له رسالة بعنوان "القول الفصل في ترجمة القرآن إلى اللُّغات الأعجمية"، ومنهم الشيخ محمد سليمان "نائب المحكمة العليا"، ألَّف كتاب "حدث الأحداث

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٢١-٣٢٣.

(٢) ترجمة القرآن وأثرها في معانيه، مرجع سابق، ص: ١٣٤.

(٣) تفسير المنار، مرجع سابق، ٣١٤/٩-٣٦٣.

في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن"، وألف الشيخ "محمد بخيت المطيعي" مفتي الديار المصرية" كتاب "حجة الله على خليفته، في بيان حقيقة القرآن وحكم كتابته وترجمته"، إضافة إلى المقالات الكثيرة التي نُشرت في الصحف والمجلات الصادرة في ذلك الوقت.

وفي المقابل نشر الشيخ محمد مصطفى المراغي بحثاً أجاز فيه ترجمة القرآن، كما أصدر محمد فريد وجدي كتاب "الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية"^(١).

واستمر الموضوع ولم يُحسم، ولم ينتظر الناس في الساحة حسم المعركة، بل استمرت الترجمة بأنواعها وبما فيها من خلل، وقد بلغ ما أمكن حصره من اللغات التي استعملها المسلمون في ترجمة أو محاولة ترجمة معاني القرآن؛ حوالي (١٢٤) لغة، وهذا العدد يمثل بعض اللغات التي يستعملها المسلمون، حيث إن هناك شعوباً إسلامية لديها تفاسير مطبوعة بلغاتها، وبعض الشعوب الإفريقية لديها تفاسير تتناقلها شفهاً^(٢).

(١) ترجمة القرآن بين المعارضة والتأييد، د. رمضان عبدالنواب، مقال بمجلة الرسالة عدد ٩، ١٠، ١٣٨٩هـ، ص: ٥٠-٤٤.

(٢) مجمع ترجمات تفسير القرآن الكريم، د. حسن معايرجي، ضمن بحوث الندوة العالمية، ص: ٢٤٣.

المبحث الثاني

أقسام الترجمة، وفيه ومطلبان

المطلب الأول: الترجمة الحرفية وحكمها:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم، وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحققها معها، وهي:

{أ} وجود مفردات في اللغة المترجم إليها يازاء حروف اللغة المترجم منها.

{ب} وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها^(١).

{ج} تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات، ولذلك ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى مع التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية، وهو ما يعرف بالترجمة الحرفية، وهي إما أن تكون مساوية (وهذا غير ممكن) لأن معناها أن يترجم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذواً بحذو، بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه حتى تحل ما تحمله نظم الأصل من المعاني المقيّدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية والتراكيب والنسق والأسلوب^(٢). وعلى هذا فتكون الترجمة

(١) الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله).

(٢) التفسير والمفسرون، ٢٤/١، ومناهل العرفان، ١٣١/٢، ١٤٥.

الحرفية باستحضار معنى لفظ الأصل المترجم وإبداله بلفظ آخر يدل عليه من لغةٍ أخرى^(١).

فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله، المعجز بألفاظه ومعانيه، المتعبد بتلاوته، ولا يقول أحد من الناس إن الكلمة من القرآن إذا تُرجمت، يُقال فيها إنها كلام الله، فإن الله لم يتكلم إلا بما تتلوه بالعربية، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة؛ لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية، والذي يُتَعَبَد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته، فترجمة القرآن الحرفية على هذا مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها، تُخْرِج القرآن عن أن يكون قرآناً.

ولا يمكن ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية لاستقلالية اللغة العربية عن اللغات الأخرى في حروفها وتراكيبها، ولوجود مفردات وضمائر في اللغة العربية لا توجد في اللغات الأخرى، يعني أنّ المرادفات للقرآن في اللغة العربية متعدّدة، قال الزرقاني: "فهيئات أن تجد في لغة الترجمة مفردات مساوية لجميع مفردات الأصل، ثم هيئات أن تظفر بالتنشابه بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها في الضمائر المستترة وفي دوام الروابط بين المفردات لتأليف المركبات"^(٢).

ولو تُرجم القرآن، لصاعت خواصه البلاغية، ولنزلت من مرتبته المعجزة إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر، ولفات المقصد العظيم الذي نزل القرآن من أجله على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فدلّ هذا على أنّ ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المُحال، وكل ما يستلزم المُحال مُحال.

(١) منهج الفرقان، ٧٢/٢.

(٢) مناهل العرفان، ١١٣/٢، وانظر: ترجمة القرآن للدروي، ص: ٧٥.

ثم إنَّ محاولة هذه الترجمة الحرفية تشجّع الناس على الانصراف عن كتاب ربهم مكتفين ببذل أو أبدال يزعمونها ترجمات لهم، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب عنها اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن وحده علماً عليها، وقد حدث في بعض البلاد الإسلامية أنهم كانوا يقرؤون الترجمة الإفرنجية ويقرؤونها أولادهم، ويعتقدون أنّ ما يقرؤون هو القرآن الصحيح، وكل هذا يؤدّي إلى صرف الناس عن القرآن الكريم إلى الترجمات، فيصير هذا قرآن بالفرنسية، وهذا قرآن بالإنجليزية ونحو ذلك^(١)، وهذا يؤدّي إلى وجود خطر كبير يحيق بالقرآن وبالأمة الإسلامية وباللغة العربية.

وتأمّل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢)، فإنك إذا أرت ترجمتها ترجمة حرفية، أتيت بكلام من لغة الترجمة يدل على النهي عن ربط اليد في العنق وعن مداها غاية المد مع رعاية ترتيب الأصل ونظامه بأن تأتي بأداة النهي أولاً يليها الفعل المنهي عنه متصلاً بمفعوله ومضمراً فيه فاعله، ولكن هذا التعبير قد يكون مُستنكراً، بل قد يستنكر المترجم لهم هذا الوضع الذي صيغ به هذا النهي ويقولون: ما له ينهى عن ربط اليد بالعنق وعن مداها غاية المد، وقد يلصقون هذا العيب بالأصل ظلماً، وما العيب إلّا فيما يزعمونه ترجمةً للقرآن من هذا النوع^(٣).

(١) الأدلة على استحالة الترجمة الحرفية في منهج الفرقان، ٧٨-٧٩، مناهل العرفان، ١٤٤/٢، ١٥٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٩).

(٣) مناهل العرفان، ١١٢/٢.

أمّا الترجمة الحرفية غير المساوية، فهي مماثلة للأولى في كل شيء عدا أنّ المترجم في الحرفية المساوية يراعي قواعد المنقول إليها ونظامها، ولا يراعي ذلك في الترجمة غير المساوية، ولكنهما في الحكم والنتيجة سواء.

ونلاحظ أنّ هناك الكثير من الترجمات التي ترجمها أصحاب الفرق المنحرفة؛ تعتمد على المنهج الحرفي نحو الكلمات والنصوص القرآنية، فعملهم فيها إنّما هو بيان المقابلات اللفظية عن طريق القواميس اللغوية، وهذا يؤدي إلى عدم فهم النصوص بالصورة الصحيحة.

وهناك ألفاظ وجمل في القرآن الكريم لها مدلولاتها الخاصة، ولا يمكن ترجمتها، ولا يستقيم المعنى إذا تُرجمت. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾^(١)، فالكببة كما قال الرمخشري^(٢): تكرير الكبّ، وجعل التكرير في اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كأنّه إذا أُلقي في جهنم ينكبّ مرةً بعد مرة، حتى يستقر في قعرها، والتراجم الموجودة لا تلاحظ أبداً مثل هذه الصيغة الفنية الرائعة التي جاءت بهذا المعنى البليغ الذي حقق العبرة البارزة والهدف المنشود من هذه النصوص الهادية.

(١) سورة الشعراء، الآية (٩٤).

(٢) محمود بن عمر بن محمد أحمد الخوارزمي الرمخشري جار الله أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، أشهر كتبه "الكشاف في تفسير القرآن"، وكان معتزلي المذهب. الأعلام، ١٧٨/٧، سير أعلام النبلاء، ١٥١/٢٠.

كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافُكُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِزِينَ ﴾^(١)، حيث قال الإمام ابن قتيبة (٢): "ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى، لم تستطع أن تؤدّي بهذه الألفاظ مؤدّية عن المعنى الذي أودعته، حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وأذنبهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على السواء"^(٣).

فإذا كان هذا في اللغة العربية، فكيف بترجمتها إلى لغةٍ أخرى حرفياً، ولو اجتمع جميع أصحاب التراجم فإنّهم لا يستطيعون إظهار المستور في هذه الآية الإعجازية البديعية^(٤).

ولقد صدق الإمام مجاهد^(٥) (رضي الله عنه) عندما قال: "من لم يكن عالماً بلغات العرب، لا يحل له التفسير". وقال مالك بن أنس^(٦) (رضي الله عنه): "لا أوتي

(١) سورة الأنفال، الآية (٥٨).

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من المصنّفين المكثّرين، وُلِدَ ببغداد سنة ٢١٣هـ، وتوفي بها سنة ٢٧٦هـ، من كتبه "تأويل مشكل الحديث ومشكل القرآن". الأعلام، ١٣٧/٤، تنكرة الحُفَاط، ٦٣٣/٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ١٦/١٥، وانظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص: ١٣.

(٤) نقد مختارات من ترجمات القرآن الكريم، ص: ٦٩٠.

(٥) مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب المخزومي، أخذ عن ابن عباس القرآن والتفسير والفقه. الطبقات لابن سعد، ٤٦٦/٥، سير أعلام النبلاء، ٤٤٩/٤.

(٦) مالك بن أنس بن النضر بن النجار الخزرجي، خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) علماً جماً. الإصابة، ٧١/١، أسد الغابة، ١٥١/١.

برجل يقول في كتاب الله بغير علم بالعربية، إلا جعلته نكالا". فكيف يحلُّ لهؤلاء المستشرقين وأمثالهم أن يتناولوا القرآن بالتفسير والترجمة، ولا يتوفر فيهم ذلك^(١)؟

كذلك في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ لِيَاسٌ﴾^(٢)، فهذه الكلمة لا تؤدِّي المعنى المقصود عند الترجمة، وسيكون البديل اللفظي عنها في اللغات الأخرى ما معناه باللُّغة العربية (الثوب)، وهذا غير مقصود من الآية، لأنَّ المراد من لفظ لباس هو التعبير عن الصلة الطبيعية بين الرجل والمرأة، لأنَّ كلاً منهما يشمل على الآخر ويستتره عن الحرام كما تستر الثياب عورات الأجسام.

قال الإمام الشاطبي^(٣): "للغة العرب من حيث هي ألفاظٌ دالةٌ على معانٍ نظران: أحدهما من جهة كونه ألفاظاً وعبارات مطلقه دالة على معانٍ مطلقة وهي الدلالة الأصلية، والثانية من جهة كونه ألفاظاً وعبارات مقيدة دالة على معانٍ خادمة وهي الدلالة التابعة، فالجهة الأولى تشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى، فإنه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلاً كالقيام ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام، تأتي له ما أراد من غير كلفة، ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين ممن ليسوا من أهل اللُّغة العربية وحكاية كلامهم، ويتأتى في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها، وهذا لا إشكال فيه.

(١) نقد مختارات من ترجمات القرآن الكريم، ص: ٦٩٤.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٧).

(٣) الشاطبي، سيد القراء، أبو القاسم بن فيرة الأندلسي، عالم في القراءات والرسم والنحو والفقهاء والحديث. معرفة القراء، ١٧٨.

وأما الجهة الثانية فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار، فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أموراً خادمة لذلك الإخبار بحسب المخبر عنه والمخبر به، إلى أن قال (رحمه الله): "وإذا ثبت هذا فلا يمكن لمن اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاماً من العربي بكلام العجم على أي حال فضلاً عن أن يترجم القرآن وينقله إلى لسان غير عربي، إلا إذا فرض استواء اللسانين في اعتبار المترجم كما إذا استوى اللسانان في استعمال ما تقدم تمثيله"^(١).

وينبغي أن نعلم أنه مهما تحرّى أصحاب الترجمات الدقة والإجادة، فإنها عاجزة عجزاً كلياً عن استيفاء المدلولات الكاملة لأي الذكر الحكيم، فضلاً عن نقل ما في كتاب الله تعالى من الروعة والجمال، وما فيه من قوة التأثير في القلوب والنفوذ إلى العقول، إضافة إلى أن هذا الكلام هو كلام الله تعالى، فهو نص إلهي يختلف عن أي كتابات أخرى.

أسباب استحالة الترجمة الحرفية وبيان حرمتها:

[١] أما كونها مستحيلة فالاستدلال على ذلك من طريقتين:

{أ} لأن ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال، وكل ما يستلزم المحال محال، إذ لا بُدَّ في تحقيقها من الوفاء بجميع معاني القرآن وجميع مقاصده، كما في أسلوب علوم المعاني والبيان المتعددة، والتي هي أساس بلاغته وإعجازه، وكل ذلك مفقود في غير العربية، وما كان لبشر أن يحيط بها فضلاً عن أن يحاكيها في كلام له.

(١) الموافقات، ٥٤/٢.

{ب} ولأنّ ترجمة القرآن بهذا المعنى؛ إيجاد مثل للقرآن وهذا مستحيل، وقد ثبت أنّ القرآن تحدّى أفصح العرب أن يأتوا بمثله أقصر سورة منه، فعجزوا عن المعارضة والمحاكاة، ولا شكّ أنّ غير العرب أشدّ عجزاً وبعداً عن ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

[٢] وأما كونها محرّمة شرعاً، فلأمور التالية:

{أ} إنّ محاولة هذه الترجمة ادّعاءً لإمكان وجود مثل للقرآن، وذلك تكذيب شنيع لقوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن... الآية).

{ب} إنّ محاولة هذه الترجمة تشجّع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم مكتفين ببديل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب عنها اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن وحده علماً عليها.

{ج} إنّ الأمة اجتمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى، ومعلوم أنّ ترجمة القرآن بهذا المعنى الحرفي تساوي روايته بالمعنى، فكلاهما صيغة مستقلة وافية بجميع معاني الأصل ومقاصده، لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية.

فالرواية بالمعنى؛ لغتها لغة الأصل، وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل، وإذا كانت رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعاً، فهذه الترجمات ممنوعة

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

كذلك قياساً على هذا المجمع عليه، بل أخرى بالمنع للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

ومن الأخطاء التي وقع فيها المترجمون، استعمال أداة العطف (الواو) فحرف العطف هذا من أكثر أدوات العطف التي يقع الخطأ فيها أثناء الترجمة، فأداة العطف بالإنجليزية (and) يستخدمها المترجمون كلما وجدوا حرف (الواو) في النص العربي، وهذا يؤدي إلى الزيادة والحشو في اللغة الإنجليزية.

ومن أخطاء الترجمة الشائعة أيضاً؛ تغيير صيغة الجملة المعطوفة من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم، إلى جانب الأخطاء الوظيفية والتوصيلية، مثل الاختيار الخاطئ لأدوات العطف، واستبدال أداة عطف بأخرى، إلى غير ذلك من الأخطاء.

المطلب الثاني: الترجمة التفسيرية والمعنوية وحكمها:

الترجمة التفسيرية وتسمى المعنوية وهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه. وكثير من الناس لا يفرقون بين ترجمة القرآن الحرفية، وبين الترجمة التفسيرية، فيعتقدون أنّ الاثنين بمعنى واحد مع أن هناك فرق كبير بينهما، فالترجمة الحرفية إنّما تكون باستحضار معنى لفظ الأصل المترجم وإبداله بلفظ آخر يدل عليه من لغة أخرى، وأمّا الترجمة التفسيرية فإنّما تكون بفهم معنى الأصل، وشرح غامضه، وتفصيل مجمله بألفاظ وجمل تدل على ذلك من لغة أخرى، وعلى ذلك فعبرة الترجمة الحرفية محاذية ومطابقة لعبارة الأصل، لا اختلاف بينهما في اللغة، وأمّا عبارة الترجمة التفسيرية فهي محاذية ومطابقة لعبارة تفسير الأصل، لا تختلف عنها إلاّ في اللغة، فالترجمة في الحقيقة فيها تفسير الأصل لا

نفس الأصل بخلاف الحرفية^(١)، فترجمة القرآن الكريم لا تجوز بأي حال من الأحوال، أمّا ترجمة معاني القرآن أو كتابة تفسير موجز للقرآن ونقله إلى اللغات الأخرى، فلا خلاف في جوازه.

والترجمة التفسيرية أو المعنوية هي التي لا تُراعى فيها المحاكاة الموجودة في الترجمة الحرفية في النظم والترتيب، بل المهم فيها نقل وحسن تصوير المعاني والأغراض كاملة، وسُمّيت تفسيرية، لأنَّ حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير. ويطلق عليها الترجمة المعنوية أو التفسيرية أو ترجمة معاني القرآن الكريم أو ترجمة تفسير القرآن الكريم، أو تفسير القرآن بلغة كذا، وهذه كلها اصطلاحات لموضوع واحد، فلا اختلاف بينها ولا مشاحة في الاصطلاح، فترجمة معاني القرآن الكريم معناها نقل مدلول الآيات القرآنية إلى لغة أخرى.

ولو أردنا أن نترجم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢) ترجمة تفسيرية، فإننا بعد أن نفهم المراد وهو النهي عن التقتير والتبذير في أبشع صورة منفرة منهما، نعلم بعدها إلى هذه الترجمة فنأتي منها بعبارة تدلُّ على هذا النهي المراد في أسلوب يترك في نفس المترجم لهم أكبر الأثر في استبشاع التقتير والتبذير، ولا عليك من عدم رعاية الأصل في نظمه وترتيبه اللفظي^(٣).

(١) منهج الفرقان، ص: ٧١-٧٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٩).

(٣) مناهل العرفان، ١١٢/٢، وانظر: مثال الترجمة الحرفية، ص: ٢٣.

ولا خلاف في جواز الترجمة التفسيرية، وإليك أقوال بعض الأئمة في ذلك:

يقول النسفي^(١) عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(٢): "فإن قلت إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بُعث إلى الناس جميعاً بقوله: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(٣)، بل إلى الثقلين وهم على ألسنةٍ مختلفةٍ، فإن لم تكن للعرب حُجَّةٌ؛ فلغيرهم الحُجَّةُ، قلت: لا يخلو إمَّا أن ينزل بجميع الألسنة، أو بواحد فيها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأنَّ الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فتعيَّن أن ينزل بلسانٍ واحدٍ، وكان لسان قومه أولى بالتعيين، لأنَّهم أقرب، ولأنَّه أبعد من التحريف والتبديل"^(٤).

ويقول شيخ زادة^(٥): "والذي يخطر ببالي في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها، أنَّها جواب على ما ورد في قوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ ﴾^(٦)، وهو أنَّ تعريف الناس للاستغراق لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين، فقيه مفسر. الأعلام، ٤/٦٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢/٢٥٥.

(٥) محمد بن محيي الدين بن مصطفى القوجوي، مفسر، من فقهاء الحنفية، له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، من أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعاً وأسهلها عبارة. الأعلام، ٧/٩٩.

(٦) سورة إبراهيم، الآية (١).

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١﴾، وما أنزل إليه (عليه الصلاة والسلام) بلسان العرب خاصة، فكيف يخرج به جميع الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، فأجاب عنه بقوله: وما أرسلنا من رسولٍ إلى الأمم التي اختلفت ألسنتهم، إلا بلغة قومه الذين هو منهم؛ إذ لا حاجة إلى أن ينزل إلى كل قوم كتاب ملتبس بلغة أولئك القوم، لأن ذلك ينوب ويكفي عن التطويل اللازم من ذلك، فإذا أنزل بلسان واحدٍ من الأقوام، كان أولى الألسنة لسان قوم الرسول؛ لأن قومه أقرب الناس إليه، فكان حقهم عليه أقدم، وكان الأولى أن يدعوهم إلى الحق أولاً، وينذرهم عن المخالفة والعصيان؛ حتى إذا فهموا منه، يبينون ما أرسل به إليهم، ويُترجمون لغيرهم ما فهموه، فتنتشر دعوته بذلك إلى أطراف العالم" (٢).

ويقول ابن حجر (رحمه الله) في باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب: "ولا يرد على هذا كونه (صلى الله عليه وسلم) بُعث إلى الناس كافةً؛ عرباً وعجماً وغيرهم، لأن اللسان الذي نزل به الوحي؛ عربي، وهو يبلغه إلى طوائف.

وترجمة معاني القرآن الثانوية أمر غير ميسور، إذ إنه لا توجد لغة توافق اللُّغة العربية في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه. فوجوه البلاغة القرآنية في اللفظ أو التركيب، تنكيراً وتعريفاً، أو تقديماً وتأخيراً، أو ذكراً وحذفاً، إلى غير ذلك مما تسامت به لغة القرآن، وكان له وقعه في النفوس، هذه الوجوه في بلاغة القرآن لا

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٢) حاشية شيخ زاده، ١٢٤/٣.

يفي بحققها في أداء معناها لغة أخرى، لأنَّ أي لغة لا تحمل تلك الخواص، أمَّا المعاني الأصلية فهي التي يمكن نقلها إلى لغة أخرى.

وقد ذكر الشاطبي في الموافقات المعاني الأصلية والمعاني الثانوية ثم قال: "إنَّ ترجمة القرآن على الوجه الأول (يعني النظر إلى معانيه الأصلية) ممكنٌ، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه. وكان ذلك جائزاً باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حُجَّةً في صحة الترجمة على المعنى الأصلي".

ومع هذا فإنَّ ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، فإنَّ اللفظ الواحد في القرآن قد يكون له معنيان أو معانٍ تحتملها الآية، فيضع المترجم لفظاً يدلُّ على معنى واحد، حيث لا يجد لفظاً يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة.

وقد يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي، فيأتي المترجم بلفظٍ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي، ولهذا ونحوه وقعت أخطاء كثيرة فيما تُرجم لمعاني القرآن. وما ذهب إليه الشاطبي واعتبره حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي ليس على إطلاقه، فإنَّ بعض العلماء يخص هذا بمقدار الضرورة في إبلاغ الدعوة بالتوحيد، وأركان العبادات، ولا يتعرّض لما سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة بتعلُّم اللسان العربي.

إذن الأولى هو ترجمة التفسير عند الحاجة؛ فعلماء الإسلام إذا قاموا بتفسير للقرآن، يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح، ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة، فإنَّ هذا يُقال فيه: "ترجمة تفسير القرآن" أو "ترجمة تفسيرية" بمعنى شرح

الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، ولا بأس بذلك، فإنَّ الله تعالى بعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) برسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها: (وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة). وشرط لزوم الرسالة البلاغ، والقرآن الذي نزل بلغة العرب صار إبلاغه للأمة العربية ملزماً لها، ولكن سائر الأمم التي لا تُحسن العربية، أو لا تعرفها، يتوقف إبلاغها الدعوة على ترجمتها بلسانها، وقد عرفنا قبل استحالة الترجمة الحرفية وحرمتها، واستحالة ترجمة المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية وما فيها من أخطار، فلم يبق إلا أن يُترجم تفسير القرآن الذي يتضمَّن أسس دعوته بما يتفق مع نصوص الكتاب وصريح السُّنة إلى لسان كل قبيل حتى تبلغهم الدعوة وتلزمهم الحجة.

وترجمة تفسير القرآن على نحو ما ذكرنا يصح أن نسميها بالترجمة التفسيرية، وهي تختلف عن الترجمة المعنوية وإن كان الباحثون لا يفرقون بينهما، فإنَّ الترجمة المعنوية توهم أنَّ المترجم أخذ معاني القرآن من أطرافها ونقلها إلى اللُّغة الأجنبية، كما يُقال في ترجمة غيره: ترجمة طبق الأصل، فالمفسِّر يتكلم بلهجة المبيِّن لمعنى الكلام على حسب فهمه، فكأنَّه يقول للناس: هذا ما أفهمه من الآية، والمترجم يتكلم بلهجة من أحاط بمعنى الكلام وصبَّه في ألفاظ لغة أخرى، وشتان بين الأمرين، فالمفسِّر يقول في تفسير الآية: يعني كذا، ويذكر فهمه الخاص، والمترجم يقول: معنى هذا الكلام هو عين معنى الآية، وقد عرفنا ما في ذلك. وينبغي أن يؤكَّد في الترجمة التفسيرية أنَّها ترجمة لفهم شخصي خاص، لا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنَّما تتضمن ما أدركه المفسِّر منها، وبهذا تكون ترجمة للعقيدة الإسلامية ومبادئ الشريعة كما تُفهم من القرآن.

وقد أُشترطَ لجواز الترجمة شروط، منها:

الأول: ألا تُجعل بديلاً عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه، وعلى هذا فلا بُدَّ أن يُكتب القرآن باللُّغة العربية إلى جانب هذه الترجمة، لتكون كالتفسير له.

الثاني: أن يكون المترجم عالماً بمدلولات الألفاظ في اللُّغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق.

الثالث: أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن، ولا تُقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلماً مستقيماً في دينه.

نتائج البحث:

خلص الباحث من خلال البحث إلى النتائج التالية:

[١] أن الترجمة المعنوية أو التفسيرية أو ترجمة تفسير القرآن الكريم كلها مصطلحات لشيء واحد، ولا خلاف في جوازها والحاجة إليها، إذا دعت الضرورة إليها، بحيث لا تكون بديلاً عن القرآن، ولا يُستغنى بها عنه، وعلى هذا فلا بُدَّ أن يكتب القرآن باللُّغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة، لتكون كالتفسير له.

[٢] استحالة الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، وأنها غير جائزة شرعاً، وتترتب عليها أخطاء كبيرة.

[٣] أنه يجب أن يراعى في كتابة التعليقات التفسيرية ما يراعى في شروط التفسير.

[٤] أن الترجمات القرآنية مهما تحزى وحاول أصحابها الدقة في الترجمة والنقل، فإنها عاجزة عجزاً كلياً عن استيفاء المدلولات الكاملة للقرآن الحكيم.

التوصيات:

من خلال هذا البحث، يوصي الباحث بالآتي:

[١] الاهتمام بالكتاب والسُّنة واللُّغة العربية، وبيان أهميتها لجميع المسلمين، فهي كفيلة بتعريب ألسنة الناس جميعاً.

[٢] يُستحسن تعليم اللُّغة العربية للناطقين بغيرها، حتى يفهموا القرآن الكريم على الوجه الصحيح.

[٣] حصر شامل لجميع الترجمات الموجودة للقرآن الكريم، وتفنيده ما جاء فيها من تضليل، حمايةً للمسلمين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

[١] تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

[٢] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، عدد الأجزاء ١٢ جزءاً.

[٣] التفسير الكبير: للإمام الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي (٦٠٦هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- [٤] تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، مطبعة دار الهلال، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- [٥] جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- [٦] مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني، تحقيق الدكتور: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- [٧] البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، دار المعرفة للطباعة والنشر.
- [٨] ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، لعبد الله عباس الندوي، دار الفتح.
- [٩] ترجمة القرآن وكيف ندعوا غير العرب إلى الإسلام، لعبد الوكيل الدروبي.
- [١٠] التعريف بالقرآن والحديث، لمحمد الزفراف، مكتبة الفلاح، الكويت.
- [١١] تعلم لغة القرآن الكريم، للدكتور: عبد الله عباس الندوي، دار الشروق.
- [١٢] التفسير والمفسرون، للدكتور: محمد أحمد الذهبي، دار الباز للنشر والتوزيع.
- [١٣] حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، المكتبة الإسلامية.

[١٤] حدث الأحداث في الإسلام، الإقدام على ترجمة القرآن، للسيد الإمام الشيخ محمد سليمان.

[١٥] الرسالة للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

[١٦] صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع.

[١٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة.

[١٨] القرآن الكريم؛ معجزة وتشريع، لعبد الكريم عبد الله نيازي.

[١٩] قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن ورد شبهات، للدكتور: فضل حسن عباس، دار البشير، عمّان.

[٢٠] القرآن كتابٌ أحكمت آياته، لأحمد محمد جمال، ج٢، دار إحياء العلوم، بيروت.

[٢١] اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير.

[٢٢] لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، نشر وتوزيع المكتبة الفيصلية.

[٢٣] مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مكتبة وهبة.

[٢٤] مباحث في علوم القرآن، للدكتور: صبحي الصالح، دار العلم للملايين.

ترجمة القرآن الكريم؛ مفهومها، تاريخها وحكمها د. بابكر رحمة الله محمد أحمد

[٢٥] المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالخرطوم، مجلة علمية محكمة، بحث بعنوان نقد مختارات من ترجمات القرآن الكريم.